



للفنصوى الررسى سالكوف

بسم الأستاذ عبد اللطيف النشار

دهشة شديدة : « ولكن أين نحن الآن ؟ وهل كان مارأينا جملأ ؟ »

ولس كل منهما الآخر ليستوثق هل هو فى حلم أو يقظة . وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما متسع قليل من الأرض خلفه المحيط أيضاً ، فبكيا لأول مرة بعد أن ألغى ديوانهما

ونظر كلاهما إلى الآخر فرآه لا يرتدى غير قميص النوم ، وقد علقت فى جيبه صفيحة عليها رقم . وقال أحدهما : « الآن موعد تناول القهوة ؟ »
واسكن من لنا بها الآن ؟ « ثم عاد إلى البكاء وقال : « ما الذى نفعله يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا تقريراً فكيف نبعث به ؟ »

فأجابه الموظف الآخر : « سأخبرك بالذى يجب أن نفعله يا صاحب السعادة : أنا أذهب شرقاً وأنت تذهب غرباً ، ثم تعود إلى الاجتماع هنا ، وإذا اهتدى أحدهما إلى رأى تشاورنا فيه »

وهنا اختلفا فى تعرف الشرق والغرب وتذكرا قول رئيس الديوان :

« إذا أردت أن تعرف الشرق فاجمل الشمال أمامك ، فالذى على يمينك عند ذلك هو الشرق » ،
ولكنهما لما أرادا أن يعرفا أين هو الشمال اتجها نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما قضيا كل حياتهما فى دار المحفوظات ؛ فقد ذهب مجهودهما هذا عبثاً

كانا فى وقت ما يشغلان منصبتين من مناصب الحكومة

وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك وعلى غرة منهما وجدا نفسيهما « يشحنان » إلى جزيرة غير مأهولة كأنما ينقلهما إليها بساط سليمان وكانا قد قضيا عمرهما فى ديوان حكومى نشأ فيه وتربيا وشابا ؛ وكانا قد ولدا به أيضاً . وهما من أجل ذلك لا يعرفان أى شئ لا يتصل بأعمالهما . وكل الذى يعرفانه ينحصر فى الصيغ الديوانية المألوفة التى تنتهى بهذه الجملة : « وتفضلوا بقبول اِحترامى »

لكن هذا الديوان ألغى وأقالتهما الحكومة فهاجرا ، بعد إذ أطلق سراحيهما ، إلى شارع بوديشسكايا فى بطرسبورج . وكان لسل منهما فيه منزله وطاويه ومماشه

ولما استيقظا من النوم فى الجزيرة التى « شحنا » إليها ، وجدا نفسيهما نائمين تحت لحاف واحد . ولم يفهما بالطبع فى البداية ماذا أصابهما ؛ فأخذا يتسكلمان كما لو كان الأمر بينهما يجرى على عادته قال أحدهما : « ما أغرب الحلم الذى رأيت ليلة أمس يا صاحب السعادة ! لقد رأيت فى الحلم أنى نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »

لكنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى وثب من مكانه ووثب الموظف الآخر أيضاً ، وقال فى

سمك وسماني وأرانب وفاكهة وأن ليس في مقدورها الحصول على شيء منها

قال أحد الموظفين: لا أعرف كيف نعيش هنا ؟
إننا حتى لو استطعنا الحصول على طائر فكيف نذبجه
وننظفه ونطبخه ؟ كيف يحدث كل ذلك ؟

فأجابه الآخر: « إنني في الحق لا أفهم كيف
يحدث كل ذلك »

ثم عادا الى الصمت وحاولا أن يناما ، ولكن
قبل أن تغتمض عيونهما مر سرب من السماني
فتخيلاه وهو مقلي على الأطباق . وقال أحد
الموظفين: « لقد هممت من شدة الجوع أن آكل
حذائي » فأجابه الآخر: « إنني سأمتص جوربي »
ونظر كل منهما الى الآخر نظرة شر كأن نفسه
تحدثه بأن يأكل صاحبه ؛ ثم صرخ كل منهما صرخة
جنونية كأنها عواء الذئب . وقال الموظف الذي
اشتغل مرة بالتدريس: « أظننا لن ننتظر حتى
يحاول أحدهما أن يأكل الآخر » فأجابه: « وكيف
نفعل ؟ إننا بلا ريب سنلاقى الموت ؛ فما رأيك
يا صاحب السعادة ؟ »

قال: « يجب أن نقطع الوقت بالحادثة ، وإلا
فان واحدا منا سيأكل الآخر لا محالة » فأجابه
الموظف الآخر: « ولكن ماذا نقول ؟ إبتدىء أنت ! »
قال الموظف الذي كان مدرسا: « قل لي لماذا
تشرق الشمس أولاً ثم تغرب ؟ ولماذا لا يكون
العكس ؟ » فأجابه الآخر: « هذا سؤال مضحك
يا صاحب السعادة . إن الشمس تشرق لكي نستيقظ
ويذهب كل منا الى الديوان ، ثم تغرب لكي ننام »
قال: « ولكن لماذا لا نفترض العكس فنذهب
عند شروق الشمس الى الفراش فننام ونحلم ، وعندما
تغرب الشمس . . . » فقاطعه الآخر قائلاً: « إن

وقال أحدهما: « أرى يا صاحب السعادة أن
يذهب أحدهما الى اليسار والآخر الى اليمين »

وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلاً عن عمله
في دار المحفوظات بتدريس علم الخط وقتاً ما ، فهو
لذلك أذكى قليلاً من صاحبه

وكان كما اقترح . أما الموظف الذي ذهب الى
اليمين فوجد أشجاراً تحمل كل أنواع الفاكهة ؛
وكان بوده لو يستطيع تناول تفاحة ، ولكن الثمر
كان شديد الملو فلا يستطيع الحصول عليه إلا إذا
تسلق الشجر . وقد حاول أن يتسلق إحداها ،
ولكن ذهبت محاولته سدى . وكل الذي نجح
فيه أنه مزق قميص نومه

وألقى نظرة على الماء فرآه ممتلئاً بالسمك ، فتمنى
لو أن كل ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع
بود شسكاي . ولما مر هذا الخاطر بذهنه جرى
لما به . ومشى في الغابة فرأى كل أنواع الطيور
والأرانب والغزلان فقال:

« يارب ما أكثر رزقك وما أقل قدرتنا على
الحصول عليه ! »

واشتدت عليه وطأة الجوع . وعاد الى المكان
الذي اتفق مع صاحبه على لقائه فيه فوجده في انتظاره
قال: « ما ذا وجدت يا صاحب السعادة ؟ »
فأجابه صاحبه: « لم أجد غير عدد قديم من جريدة
الوقائع الرسمية . فأخذ يحدثه عما وجده هو .
وجلس الموظفان ، ثم حاول كل منهما أن ينسام
ولكن خلو معدتيهما من الطعام سبب لهما أرقاً
شديداً . وكان من أسباب الأرق أيضاً تفكيرهما
في المعاش المرتب لكل منهما ، وفيمن يتقاضاه
عنهما الآن فيتمتع به دونهما . وكان من أسباب
الأرق فضلاً عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من

هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس يحمل الانسان على الاستعداد للذهاب ، كما أن غروبها يحمل الانسان على طلب العشاء »

وقد أفسدت كلمة العشاء المحادثة لأنها هاجت جنون الموظفين الجائعين ، فقال أحدهما : « إن أحد الأطباء قال لي إن الانسان يستطيع أن يعيش مدة ما بما في جسمه من سوائل . فقال الآخر : « لا أفهم ماذا تعنيه » قال : « هذا يعني أن في الجسم أنواعاً مختلفة من السوائل ، وأن بعضها يتحول إلى بفض حتى تصير الى الخلاصة الغذائية » فقال الآخر : « وماذا يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الانسان في النهاية الى طعام جديد ليتحول الى الأنواع المختلفة من تلك السوائل » فقال : « إذن فالمبرة كلها بالطعام ! لعنة الله على الطعام ! » وأدرك الموظفان أن هذا النوع من الحديث لا يؤدي الى الغرض الذي يقصدان إليه ، بل هو يزيد من شهوتهما فقررا أن يتركا الحديث ؛ فلما طال بهما الصمت تذكر أحدهما الوقائع الرسمية فتناولها ليقرأ فيها لصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى - وهي خبر وليمة رسمية - إلى ذكر أنواع الطعام ، فأخذ الآخر منه الجريدة ليقرأ خبراً آخر . وأخذ يقرأ ، ولكن الخبر - وهو استكشاف جديد - قد انتهى باقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيها فقرة لا تتعلق بذاتهم بالطعام ، ولكنها انتهت إلى ذكره أيضاً . فأطرق كلا الرجلين وتشاءب تشائباً مؤلماً ثم برقت عينا صاحب السعادة إذ خطر بباله خاطر سميد . ووقف فجأة ليؤمن استكشافه وصاح : « ماذا تفعل ؟ لقد عرفت السبيل إلى النجاة ، فإذا تقول إذا أتينا بخادم ؟ » فصاح الآخر : « وكيف نأتي بخادم يا صاحب

السعادة ؟ وأي صنف من الخدم نجده هنا ؟ » فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن يعد لنا الطعام وأن يصيد السماني والسمك ويطبخهما » قال : « هذا حسن ولكن كيف نجده ؟ » فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون في كل مكان . إننا نقوم فتبحث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد أن يكون هنا خادم على الأقل »

اطمان الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل منهما لبحث عن خادم . وطالت مدة بحثهما ، ولكنهما لم تذهب سدى ، فقد وجدا في النهاية رجلاً أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد الماعز وهو نائم تحت شجرة ؛ فلما ذكره صاحب السعادة وصاح : « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكاد نموت من الجوع . قم ! »

فنهض الخادم ونظر الى الموظفين وكان أول ما هم به أن يفر ، ولكنهما أمسكا بتلابيبه فاستسلم المسكين للقدر المقدر عليه ، وصدع بالأمر وتساوى شجرة تفاح لجمع للسيدتين الجديدتين خير ما فيها . وقطف تفاحة توشك على الفساد ، فجعلها لنفسه . ثم نزل عن الشجرة ، فجمع مقداراً من البطاطس وأوقد النار بضرية حجرتين في وسط هشيم وطبخ البطاطس ؛ وفي أثناء ذلك صاد أرنبا فأضافه الى الطعام . وصاد كذلك زوجاً من السماني ؛ فأدرك الموظفان مقدار ما لقياه من السعادة بقرب هذا الخادم . ونسيا أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل . وقال كل منهما للآخر : « ما أسعد حياة الموظف ! » وقال لهما الخادم : « هل أنتما مسروران ؟ »

فقالا : « نعم ونحن نقدر خدماتك » قال : « فهل تسمحان لي الآن بأن أستريح ؟ » فقالا : « نعم على شرط أن تأتي لنا بمجبل أولاً » فذهب وجمع أليافاً طويلة ولم يزل يفتلها حتى صنع منها حبلاً

المنزل المجاور للديوان الذي كانا به ولم يكن من المستطاع طبعاً أن يطلب هذان الموظفان الى الخادم شيئاً فيتردد ضناً منه بلذتهما ومروورهما ، ففكر في الوسيلة المؤدية الى عودتهما ، وصنع لهما من أشجار الغابة سفينة لم تكن كسائر السفن ، ولكنها مجرد أخشاب مربوطة بعضها الى بعض ، وصنع لنفسه مجدافين ليتولى بعفده تسيير السفينة

وأبدت الرحلة : فكأنا بلعنانه ويلعنانه بأقبح الألقاب كلما ظننا أن حياة اثنين من الموظفين ستعرض للخطر في سفينة هذا الخادم

وكان يقول : « لا تخافا يا صاحبي السعادة فاني وسائر الخدم معتادون تسيير هذا النوع من السفن كلما أردنا الفرار من خدمة السادة

وكان البليدان لا يعملان شيئاً في السفينة ، فنهض الخادم مع انفراده بالتجديف يهيه لهما الطعام مما يصيده من السمك ويشويه حتى بلغت السفينة النهر وما كان أسدهما عندما انتقلت السفينة من بحر البلطيق الى نهر النيقا . ودخلت السفينة قناة كترينا وهما لا يزالان بها ، ولم يخطر ببالهما أن يقطعاً بقية المسافة مشياً على الأقدام . وفي النهاية وصلا الى العاصمة ، فاستمر الخادم يحذف حتى وصل الى شارع بوديشسكايا

كانت سمادتهما سمادة بالغة عندما نزلا من السفينة فجلسا على أقرب مقهى من الشاطئ ، يشربان القهوة . وفي اليوم التالي لبسا الثوب الرسمي وذهبا لقبض المتجمد من المعاش . ولست أستطيع الاخبار عن مقدر هذا المعاش ولكنهما لم ينسبيا الخادم ، فقد أهديا إليه زجاجة من الويسكي وخمسة قروش صحيجة

عبر اللطيف النشار

تمتع يا خادم !

طويلاً متيناً فسلمه اليهما واستأذن في السماح له بالراحة فقيدها بالحبل وأذنا له بأن ينام في ظل الشجرة المجاورة وزاد حذق الخادم في تهئية الطعام فزاد الموظفان بدانة وصحة . وقال أحدهما للآخر وهما يتناولان طعام الافطار : « ما رأيك يا صاحب السعادة ؟ هل تعتقد أن قصة برج بابل قصة رمزية أم قصة واقعية ؟ »

فقال : « إنها بلا شك قصة واقعية ؛ والدليل على ذلك كثرة ما في العالم من اللغات . وإلا فكيف تنشأ اللغات لولا تبايل الألسن ؟ »

قال الآخر : « وهل تعتقد أن قصة الطوفان صحيحة ؟ » فقال صاحب السعادة : « نعم بغير شك . ودليها وجود أنواع كثيرة من الحيوان » وتناول عدد الوقائع الرسمية فأخذ يقرأ للمرة العاشرة من أوله الى النهاية

لكن السأم دب الى نفسيهما ، فقد كانا يذكران ثيابهما الرسمية ومعاشهما وطاهيهما في بطرسبورج فتذرف عيونهما الدمع

وقال أحدهما : لأعرف كيف شارع بوديشسكايا الآن يا صاحب السعادة » فقال : لا تذكري به فقد كاد يقتلني الحنين الى الوطن »

قال الآخر : « إن الحياة هنا لذيدة لا عيب فيها ، والسكن الجميل يتوق الى ندى أمه ، ونحن نتوق الى رؤية بلدنا والى ارتداه ثيابنا الرسمية في يوم قبض المعاشات على الأقل

قال صاحب السعادة : « إن الملابس الرسمية حتى ولو كانت من الدرجة الرابعة تسر الانسان وتنسيه متاعبه واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى لكي يعودا الى شارع بوديشسكايا ، وقد كان من حسن الحظ أن هذا الخادم الذي يعرف كل شيء قد عرف هذا الشارع أيضاً ؛ وكان أيضاً خادماً في